

تقييم جودة الترجمة الأدبية من المنظور الوظيفي قراءة تحليلية لنموذج جوليان هاوس "المصفاة الثقافية"

صغير مريم

جامعة ابن خلدون - تيارت، أستاذة مساعدة "ب"،

seghiermeriem15@gmail.com

ملخص:

إن الشغل الشاغل للدراسات والنظريات التي تعددت في مجال الترجمة يكاد ينحصر في هدف واحد، يتمثل في إنتاج الترجمة المثلى كما أنها تركز على النقد والتقييم. إلا أن هذا الأخير تعددت معاييرها، فأصبح الحكم على الترجمة وجودتها لا يستند إلا على أسس ذاتية لا يمكن التسليم بها، مع أن المنظورين باختلاف رؤاهم سعوا ولا يزلوا، كل بطريقته، لرسم معالم موضوعية وشاملة لنقد الترجمة. ويعد نموذج "جوليان هاوس" من ضمن المقاربات الترجمة الوظيفية لتقييم الترجمات. إذ تميز "هاوس" بين ترجمتين: الترجمة الظاهرة والترجمة الخفية. فتتعلق الأولى بالنصوص ذات الخصوصية الثقافية من نصوص أدبية وشعر، وتتعلق الثانية بالنصوص العلمية والتقنية. وفي كلتا الحالتين اقترحت "هاوس" أن نحكم على نوعية "المرشحات الثقافية" التي استعملها المترجم، أي طرق أقلمة أو مواجهة للعناصر الثقافية في الترجمة. **الكلمات المفتاحية:** تقييم، جوليان هاوس، ترجمة أدبية، المصفاة الثقافية، ترجمة ظاهرة، ترجمة خفية.

L'évaluation de la qualité de la traduction littéraire du point de vue fonctionnel

Analyse du modèle de Juliane House « le filtre culturel »

Résumé :

Toutes les théories de traduction tendent à atteindre le seul but de produire une traduction optimale. Elles se basent sur la critique et l'évaluation dont les critères sont différents et subjectifs. Juliane House définit deux grands types de traductions: «manifeste» et «secrète». L'une concerne les textes littéraires fortement dépendants de la culture source, tandis que l'autre concerne les textes sans ancrage culturel marqué. Dans les deux cas, house

propose de juger la qualité des filtres culturels mis en place par le traducteur, c'est-à-dire les modalités d'atténuation ou d'adaptation des références culturelles dans la traduction.

Mots-clés : évaluation, Juliane House, traduction littéraire, filtre culturel, traduction manifeste, traduction secrète.

مقدمة:

تتمثل الأحكام التي تطلق على الأعمال المترجمة عادة في: (ترجمة جميلة) أو (عمل رائع) أو (تبدو هذه الترجمة متقنة) أو (هذه الترجمة تتصف بالحساسية والولاء الحقيقي في روحها) أو (رغم أن مثل هذه الترجمة تعبر عن قدرة المترجم غير أنها لا تتصف بالتألق المطلوب) أو (الترجمة مناسبة لكن يشوبها الجفاف والابتذال كما أنها لا تبدي تحسنا لبعض الإشارات الثقافية)، ونلاحظ أنها ملاحظات اعتباطية لا تقوم على أسس ولا مبررات، ولهذا كانت الحاجة لرسم معالم نقد الترجمة وضرورة الانتقال من المسار النظري إلى المسار التطبيقي في تقييم جودة الترجمة، ومنه وضع نموذج "تجريبي" يقوم على معايير موضوعية. وكذا التأسيس لإطار نظري لنقد الترجمات على الصعيد اللغوي والتواصل والتقليص من المعايير الذاتية وتبرير خيارات وقرارات المترجم.

إذ تميّز "هاوس" بين ترجمتين: الترجمة الظاهرة والترجمة الخفية. فتتعلق الأولى بالنصوص ذات الخصوصية الثقافية من نصوص أدبية وشعر، وتتعلق الثانية بالنصوص العلمية والتقنية. وفي كلتا الحالتين اقترحت "هاوس" أن نحكم على نوعية "المرشحات الثقافية" التي استعملها المترجم، أي طرق ألقمة أو مواجهة للعناصر الثقافية في الترجمة

وبما أن الترجمة الأدبية تعنى بترجمة نصوص تنطوي على الرؤى والأفكار والخيالات والأمثال وغيرها من العناصر الثقافية والنفسية والاجتماعية، فهي لا توجب الوسائل الفنية والبراعة التقنية على المستوى البلاغي والجمالي للنص فحسب، وإنما تتعدّها إلى ترجمة شتى المضامين في مجالات وعلاقات

تحيط بالظاهرة اللغوية، حيث تختلف تجربة المرء باختلاف بيئته ومناخه وتضاريسه وتاريخه ومجتمعه وثقافته، وبالتالي رؤيته للعالم وكيفية التعبير عنها. بناء عليه يصبح تطبيق نموذج جوليان هاوس الوظيفي المسمى بالمرشحات الثقافية وارد في تقييم جودة ترجمة هذه النصوص، غير أن مدى فاعلية هذا النموذج "المصفاة الثقافية" في مضمار تقييم جودة الترجمة الأدبية يثير التساؤل.

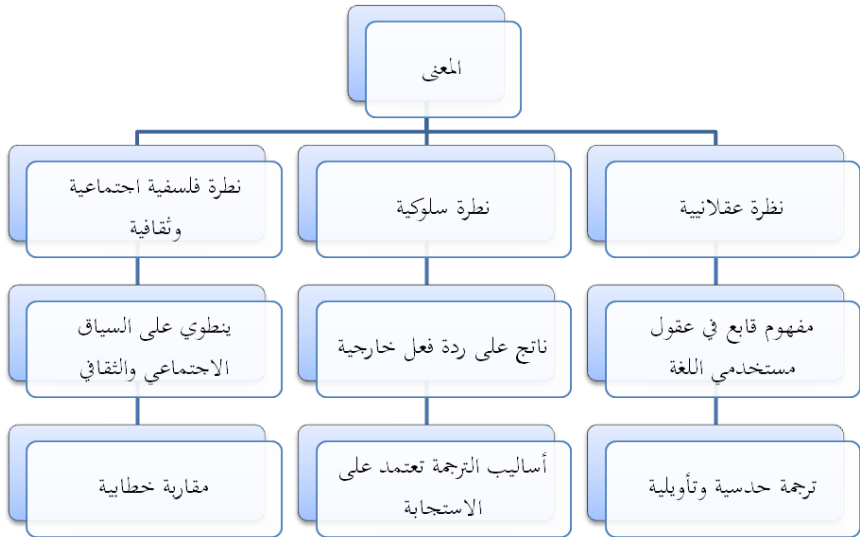
فما مفهوم الجودة في الترجمة؟ وما هي مختلف طرق تقييمها؟
والى أي مدى يمكن اعتبار النقد الوظيفي "كاف" للحكم على الترجمة الأدبية؟

1. مفهوم الجودة:

الجودة تعني الدرجة العالية من النوعية أو القيمة. وتضمنت المواصفة القياسية الدولية لمصطلحات الجودة إصدار عام 1994 تعريفا للجودة باعتبارها: مجموعة الخواص والخصائص الكلية التي يحملها المنتج أو الخدمة وقابليته لتحقيق الاحتياجات والرضاء أو المطابقة للغرض الصلاحية للغرض، كما تعني الخلو من الاخطاء إلى أكبر قدر ممكن، وانخفاض معدلات الفشل. وتمثل الجودة مجموعة السمات والخواص للمنتج التي تحدد مدى ملاءمته لتحقيق الغرض الذي أنتج من أجله ليلبي رغبات المستهلك المتوقعة وتعتبر المواصفات القياسية المحدد الأساسي للجودة، والتي تشكل أعمدة أساسية تقوم عليها جودة الإنتاج وجودة الخدمات ومن خلال هذه الأعمدة الأساسية يمكن إحداث عمليات التطوير المطلوبة لتلبي رغبات المستهلكين. أما الجودة في الترجمة فكثيرا ما ارتبطت بمدى التكافؤ بين الأصل والترجمة، إلا أن آراء المنظرين تباينت في هذه المسألة (wikipedia)

ترى جوليان هاوس أنه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الترجمة هي أساساً عملية يتم فيها الحفاظ على معنى الوحدات اللغوية متكافئة عبر اللغات، فيمكننا

التمييز، على الأقل، بين ثلاث وجهات نظر عن المعنى، كل منها يؤدي إلى مفاهيم مختلفة عن تقويم الترجمة. فحسب وجهة نظر عقلانية عن المعنى بوصفه مفهوماً قابلاً في عقول مستخدمي اللغة، فمن المحتمل أن يُنظر إلى الترجمة على أنها عملية حدسية وتأويلية. وإذا ما أُعتبر المعنى على أنه يتطور في، وينتج عن، ردة فعل خارجية قابلة للملاحظة، فمن المحتمل أن تتطوي عملية تقويم الترجمة على أساليب تعتمد على الاستجابة. وإذا ما نُظر إلى المعنى على أنه ينبثق من قطع نصية أكبر من اللغة في الاستخدام، تتطوي على كل من السياق (الاجتماعي والثقافي) والسياق المحيط بالوحدات اللغوية منفردة، فمن المحتمل استخدام مقارنة خطابية في تقويم الترجمة (ينظر جوليان هاوس، ت: محي الدين حميد، 2010).



الشكل رقم 1 يوضح وجهات النظر المختلفة عن المعنى

1.2. من وجهة نظر العقلانيين:

اعتمدَ عدد من الكتابِ والفلاسفةِ وجهاتَ نظرٍ ذاتيةٍ وحدسيةٍ في تقييم الترجمة منذ زمنٍ قديمٍ تتمثلُ أغلبها في أحكامٍ عامةٍ مثل "تتصف الترجمةُ الأصلُ" أو "أنَّ لحنَ الأصلِ قد ضاع في الترجمة" وهلم جراً. "وفي قناع أحدث، تم الترويج لمثل هذه التقييمات الحدسية من قبل مفكري الترجمة التأويليين الجدد الذين يعتبرون الترجمة حدثاً إبداعياً منفرداً يعتمد حصراً على تأويل ذاتي، وقرارات نقل، وحدس أدبي-فني، ومهارات ومعرفة تأويلية. إذ لا يوجد في النصوص معانٍ جوهرية البتة؛ بل إن معانيها تتبدل اعتماداً على مواقف المتكلمين الفردية" (House, 2001, pp. 243-247). لكن هذا لا يعبر إلا عن موقف نسبي، ونسبية "المحتوى" و"المعنى" لا تليق لعملية التقييم المعتمدة على حجج مقنعة حول متى، وكيف، ولماذا تكون الترجمة جيدة (ينظر جوليان هاوس، ت. يعقوب عيسى محمد جدو، 2016، صفحة 11، 12، 13).

2.2 . من وجهة نظر السلوكيين:

تهدف وجهة النظر السلوكية إلى طريقة أكثر "علمية" في تقييم الترجمات نافية أن تكون عمليات المترجم العقلية منتمية إلى "صندوق أسود" مجهول. أشد ما يرتبط بهذا التراث، المتأثر بالبنوية والسلوكية الأمريكيتين، عمل نايدا Nida الرائد حيث أخذ نايدا استجابات القراء للترجمة على أنها المقياس الرئيسي لتقييم نوعية الترجمة ووضعا مبادئ سلوكية عامة، مثل الفهم، والإخبارية، بما في ذلك القول إن ترجمة "جيدة" هي تلك التي تؤدي إلى "تكافؤ الاستجابة" - وذلك مفهوم يتصل بوضوح بمبدهه المعروف بـ "التكافؤ الدينامي في الترجمة"، أي: إن الطريقة التي يستجيب بها متلقو الترجمة يجب أن تكون "مكافئة" للطريقة التي استجاب بها متلقو النص الأصل للأصل. فعَلَّ نايدا هذا التكافؤ على أنه يتألف من "فهم" و"إخبارية" متعادلين. وإذا ما افترضنا أنه من الصواب القول إن الترجمة "الجيدة" يجب أن تثير استجابة مكافئة للاستجابة لأصلها، علينا مباشرة أن نسأل

إن كان بالإمكان قياس "استجابة مكافئة" ناهيك عن "الإخبارية" أو "الفهم". وإن لم يكن بالإمكان قياس هذه الظواهر، فمن العبث وضعها كمبادئ لتقويم الترجمة. وفي الحقيقة، إن أكثر الاختبارات خيالية المصممة لتأسيس استجابات ملحوظة يمكن التثبت من صحتها يُتصور أنه من المحتمل للترجمة أن تثيرها، على سبيل المثال، أساليب القراءة بصوت عالٍ، وإجراءات الترتيب الدقيقة المتنوعة، قد أخفقت في نهاية المطاف في توفير النتائج المرجوة لأنها لم تكن قادرة على تصوير ظاهرة غاية في التعقيد مثل ظاهرة "تقويم الترجمة". وعلاوة على ذلك، غالباً ما تم تجاهل النص المصدر في كل هذه الأساليب، ما يعني أنه لا يمكن قول أي شيء عن العلاقة بين الأصل وترجمته، ولا إن كانت الترجمة هي في الحقيقة ترجمة، وليست نصاً ثانوياً آخر اشتُق بطريقة نصية مختلفة (ينظر جوليان هاوس، ت. يعقوب عيسى محمد جدو، 2016، صفحة 15).

3.2 . من وجهة نظر الوظيفيين:

يدعى مناصرو هذا المنهج ومنهم رايس Reiss وفيرمر Vermer 1984، أن "أهداف" الترجمة هي التي لها اليد الطولى في الحكم على نوعية الترجمة. وإن الطريقة التي تم بها احترام أو انتهاك معايير الثقافة الهدف من قبل الترجمة هي المعيار الحاسم في تقويم الترجمة. إن المترجم أو في أغلب الأحيان أهداف الترجمة التي يزوده بها ممولو الترجمة هي التي تقرر وظيفة الترجمة التي ستحققها في بيئتها الجديدة. ولم يوضح مفهوم "الوظيفة"، الحاسم في هذه النظرية جلياً، على أية حال، ناهيك عن تفعيله بأي طريقة مرضية. يبدو أنه شيء قريب جداً من التأثير الحقيقي للنص في عالم الواقع. أما كيف يمكن بالضبط للمرء البدء بتقرير التكافؤ والملائمة (النسيان) للترجمة، ناهيك عن كيفية البدء بتقرير التحقيق اللغوي لـ"أهداف" الترجمة، فذلك أمر غير واضح. والأهم من ذلك، على أية حال، يتبع طبيعياً عن الدور الحاسم الذي أنيط بـ"هدف" الترجمة أن الأصل

قُلص إلى مجرد "عرض للمعلومات" حيث توضح كلمة "عرض" مباشرة أن هذه "المعلومات" يمكن بسهولة قبولها أو رفضها وفقاً لما يريثيه المترجم. ولكن بما أن أي ترجمة مقيدة بنص أصلها في الوقت ذاته وبالتصورات المسبقة والشروط التي تحكم تلقها في البيئة الجديدة، لا يمكن القول إن نظرية أهداف الترجمة نظرية مناسبة عندما يتعلق الأمر بمعالجة تقويم الترجمة في ثنائية اتجاهها الأساسي (ينظر جوليان هاوس، ت. يعقوب عيسى محمد جدو، 2016، صفحة 15).

3. نموذج هاوس لتقييم الترجمات:

يعدّ نموذج هاوس لتقييم الترجمات نموذجاً "وظيفياً - ذرائعياً" (fonctional-pragmatic). اقترحت فيه إطاراً تقييمياً يقوم على تحليل الخصوصيات اللغوية وتلك المتعلقة بالمواقف الاتصالية (situationnelles) للنص الأصل والنص الهدف؛ حيث تتم فيه أولاً مقارنة الأصل والهدف من وجهة نظر غائية (الهدف التواصلية)، ثم من وجهة نظر الوسائل البراغمية (الذرائعية) المستعملة، من أجل تحقيق الغاية، من طرف كاتب النص الأصل، ومن طرف المترجم في إعادة صياغة النص الهدف، وذلك على ثلاثة مستويات مختلفة:

- مستويات اللّغة / النص. levels of language / text

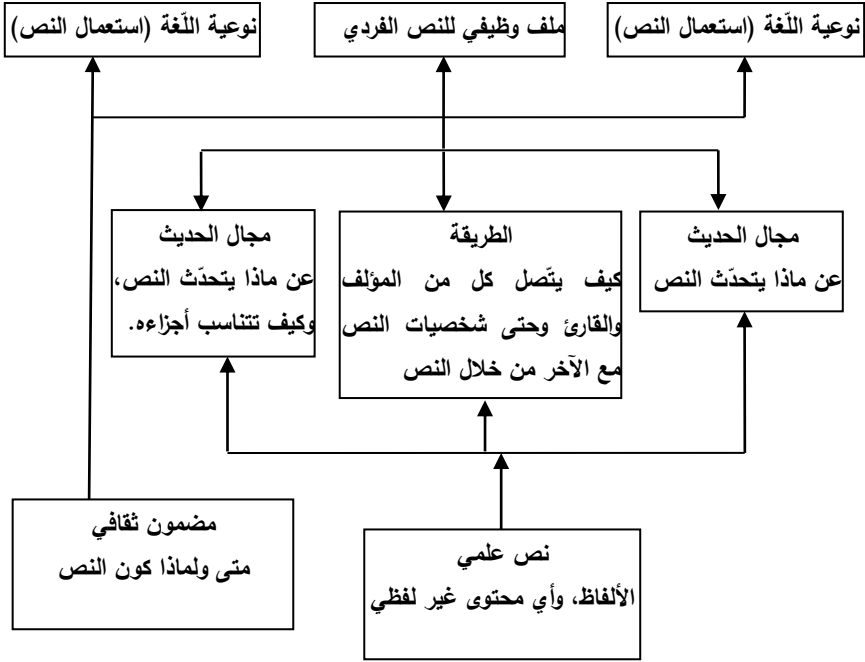
- نوعية اللّغة (مجال الحديث، شكل الحديث، الطريقة). Register (Field, Mode, Tenor)

- النوع الكلامي Genre.

ويشكل التكافؤ مبدأً أساسياً في تقويم نوعية الترجمة، حسب هاوس، حيث يكون التكافؤ الأنسب لوصف العلاقة بين الأصل والترجمة هو "التكافؤ الوظيفي الذرائعي"، لأنّه يحافظ على "المعنى" عبر لغتين وثقافتين مختلفتين، وبالنسبة للترجمة يمتلك المعنى ثلاثة جوانب: دلالي وذرائعي ونصي، ولتحقيق هذا النوع من التكافؤ يشترط أن يكون لنص الترجمة وظيفة مكافئة لوظيفة النص في اللّغة الأصل و«الذي يتكوّن من عنصر وظيفي فكري وتبادلي. عُرّف ذرائعياً على أنّه التطبيق أو الاستخدام للنص في سياق حال محدّد (...). لا ينبغي النظر إلى "النص" و"سياق الحال" على أنّهما كينونتان منفصلتان، بل إنّ سياق الحال الذي يتكشف فيه النص هو محفوظ في النص عبر علاقة منتظمة بين البيئة الاجتماعية من ناحية والتنظيم الوظيفي للّغة من الناحية الأخرى» (ينظر جوليان هاوس، ت: محي الدين حميد، 2010).

وفيما يلي توضيح للمستويات الثلاثة التي يتمّ وفقها تحليل ومقارنة النص

الأصل والنص الهدف:



الشكل 2: يوضّح النموذج التحليلي لجوليان هاوس.

- أمّا عملية التقييم فإنها عملية لغوية تتكوّن من أربع خطوات أساسية يتم

تطبيقها في إطار المستويات الثلاث السابق ذكرها:

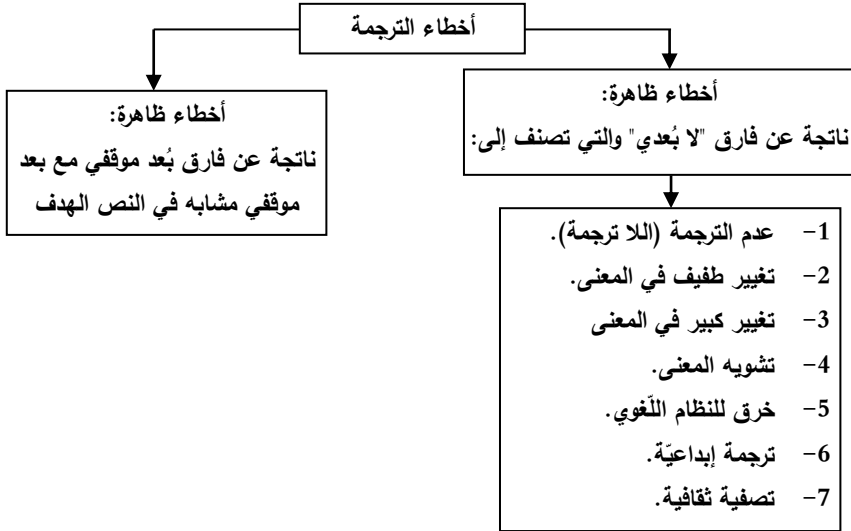
1- تحليل النص الأصلي والنص المترجم تحليلاً كاملاً وشاملاً بإعداد

"un profil" ملف يشخص الوظيفة النصية لكل نص بمفرده.

2- تحديد وظيفة النص الأصلي.

3- مقارنة النص المترجم بالتحليل الذي سبق إعداده للنص الأصل.

4- إيجاد الأخطاء، تصنيفها وتكرارها. وفق المخطط التالي:



الشكل 3: يوضّح تصنيف الأخطاء وفق هاوس.

- كما تميّز هاوس بين نمطين للترجمة: الترجمة الظاهرة (Overt translation) والترجمة الخفية (Covert translation)، ففي الأولى يعمل المترجم على جعل جمهور ثقافة الهدف يقدر الوظيفة النصية للأصل (عن بعد)، وكأنه يمنحهم معبرا للنص الأصل بتأثيره الثقافي، فيكون عمله إذن هامًا ومرئيًا. أمّا في الترجمة الخفية والتي تعتبر حالة من "الاستخدام اللغوي"، فيعمل المترجم فيها على إعادة خلق حدث كلامي مكافئ دون الكشف عن الأصل. وتعتبر أكثر خداعا من الترجمة الظاهرة. بمعنى أنّه يمكن التلاعب بالأصل. على المستويات الثلاث المذكورة سابقا، باستعمال "المصفاة الثقافية" (ينظر جوليان هاوس، ت: محي الدين حميد، 2010).

4. النصوص الأدبية في المصفاة الثقافية:

المصفاة الثقافية هي "وسيلة لتصوير الفروق الاجتماعية- الثقافية في الأعراف المشتركة للسلوك والتواصل، إنّها أساليب بلاغية مفضلة ومعايير توقعات في التجمعين السكنيين. ينبغي عدم ترك هذه الفروق للحدس الشخصي، بل ينبغي تأسيسها اعتمادا على بحث تجريبي عبر الثقافات. وإذا ما أخذنا هدف تحقيق التكافؤ الوظيفي في الترجمة الخفية في عين الاعتبار، ينبغي فحص

التصورات القابضة خلف الفرق الثقافي بدقة قبل الشروع في تدخلات في بنية معنى الأصل" (ينظر جوليان هاوس, ت: محي الدين حميد, 2010).

أمّا فيما يخص الفرق بين نمطي الترجمة المقترحين: الترجمة الظاهرة والترجمة الخفية، فلا يكون نقل الشحنات الثقافية ممكناً إلا في حالة الترجمة الظاهرة، إذ يتصرّف المترجم في نقل العناصر الثقافية من اللّغة الأولى إلى اللّغة الثانية. على عكس الترجمة الخفية، حيث لا يوجد أي نقل ثقافي، ولكن مجرد شكل من "التعويض الثقافي".

وبما أن الترجمة الأدبية تعني بترجمة نصوص تنطوي على الرؤى والأفكار والخيبالات والأمثال وغيرها من العناصر الثقافية والنفسية والاجتماعية، فإن اللجوء لاستعمال المرشحات الثقافية ضروري في هذه الحال، كما أنه على المترجم أن يختار أي الترجمتين الظاهرة أم الخفية يتخذ في كل مرة، حيث يتم تقييم جودة الترجمة بتقييم تلك المرشحات.

خاتمة:

خلص البحث الموسوم ب: تقييم جودة الترجمة الأدبية من المنظور الوظيفي قراءة تحليلية لنموذج جوليان هاوس "المصفاة الثقافية" إلى النتائج التالية:
• الترجمة بالنسبة لهاوس هي وسيلة تواصل بين الثقافات ووسيلة للعمل الاجتماعي.

• يعد التكافؤ أهم أدوات تقييم جودة الترجمة.

• وظائف اللغة ليست وظائف النصوص.

• تميّز "هاوس" بين ترجمتين: الترجمة الظاهرة والترجمة الخفية. حيث تتمثل مهمة المترجم إذا تعلق الأمر بالترجمة الظاهرة في منح أعضاء ثقافة الهدف معبراً للنص الأصل وتأثيره الثقافي على أعضاء الثقافة الهدف، فإن المترجم يضع أعضاء الثقافة الهدف في موقع ليراقبوا و/أو يحكموا على النص "من الخارج". أما في الترجمة الخفية، التي هي حالة من "الاستخدام اللغوي"، فينبغي على المترجم أن يحاول إعادة خلق حدث كلامي مكافئ.

• المصفاة الثقافية هي وسيلة لتصوير الفروق الاجتماعية- الثقافية في الأعراف المشتركة للسلوك والتواصل.

قائمة المصادر والمراجع

1) House, J. (2001). Translation quality assessment : Linguistic description versus social evaluation. *journal des traducteurs / Meta: Translators' Journal* , Volume 46 (2).

2) *wikipedia*. (s.d.). Consulté le janvier 4, 2018, sur l'encyclopedie libre: <https://ar.wikipedia.org/wiki/جودة>

3) ينظر جوليان هاوس، ت: محي الدين حميد. (2010). *تقويم نوعية الترجمة: الوصف اللغوي مقارنة بالتقويم الاجتماعي*. تاريخ الاسترداد 1 فيفري، 2017، من <http://lissan.3oloum.org/t264-topic>

4) ينظر جوليان هاوس، ت. يعقوب عيسى محمد جدو. (2016). *تقييم جودة الترجمة: الماضي والحاضر*. السودان: جامعة العلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا.